# الحـــاكم الزاهد

ولما ولى عمر بن عبد العزيز ، زهد فى الدنيا ، ورفض ما كان فيـــه ، وترك أن يخدم ، وترك ألوان الطعام ، وكان إذا صنع له طعامه هيء على شيء . وغطى ، حتى إذا دخـــل اجتبذه ، وأكله ، وإذا أراد الوضوء سكبه لنفسه ، وحدث بعض خاصة عمر أنه حين أفضت إليه الخلافة ، سمعوا فى منزله بكاء عاليا ، فسألنا عنه ، فقالوا « خيّر أمير المؤمنين امرأته بين أن تقيم فى منزلها ـ وأعلمها أنه قد شغل عن النساء بما فى عنقه ـ وبين أن تلحق بمنزل أبيها ، فبكت وبكى جواريها لبكائها .

وكان عمر بن عبد العزيز قبل خلافته يذيل ثيابه ، ويسرف فى عطره ، ويدخل فى طيبه حمل القرنفل ، ويطيب لحيته بالعنبر ، ولما صار خليفة ترك ذلك ، وتبذل ، وقد روى « رياح بن عبيدة وكان تاجرا من البصرة يعامل عمر بن عبد العزيز » أن عمر أمره أن يشترى له جبة خز ، فاشتراها بعشرة دنانير ، ولما أتاه بها مهما ، وقال « إنى لأستخشنها ، ولما ولى الخلافة أمره ، فاشترى له جبة صوف بدينار ، وأتاه بها ، فجعل يدخل يده فيها ، ويقول : « ما ألينها » فعجب رياح ، وقال « عجبا ، تستخشن الخز أمس ، وتستلين الصوف اليوم » فقال عمر : « تلك

حال ، وهذه حال . . !

ولم يرزق عمر نفسه شيئا من الفيء (١) إلا عطاءه مع المسلمين ، فدخل عليه ابن أبي زكريا ، وقال : يا أمير المؤمنين ، إني أريد أن أكلمك في شيء ، قد بلغني أنك ترزق العامل من عمالك ثلاثمائة دينار » قال « نعم » ، قال « ولم ذلك ؟ . قال : أردت أن أغنيهم عن الخيانة . » قال « فأنت أيا أمير المؤمنين ، أولى بذلك . . فأخرج عمر ذراعه ، وقال : يا ابن أبي زكريا إن هذا نبت من الفيء ، ولست معيدا إليه منه شيئا أبدا » .

وحدثت زوجه فاطمة بنت عبد الملك وقالت : اشتهى عمر ابن عبد العزيز يوما عسلا ، فلم يكن عندنا ، فوجهنا رجلا على دابة من البريد إلى « بعلبك » فأتى بعسل ، وقلنا لعمر يوما : « إنك ذكرت عسلا ، وعندنا عسل ، فهل لك فيه ؟ » قال : نعم . فأتينا به ، فقرب ، ثم قال : « من أين لكم هذا العسل ؟ » فقلت « وجهنا رجلا على دابة من دواب البريد بدينارين إلى بعلبك ، فاشترى بهما لنا عسلا » . قال عمر : أرسلوا للرجل » . فلما جاءه ، قال له : « انطلق بهذا العسل إلى السوق فبعه ، فاردد إلينا رأس مالنا ؛ وانظر إلى الفضل ، واجعله

---

(١) الخراج والغنيمة .

فى بيت مال المسلمين ، علف دواب المسلمين . ووالله ، لو ينفع المسلمين قِرْبَى ، لتقيأت » .

وأهدى إلى عمر بن العزيز تفاح وفاكهة ، فردها ، وأرسل لرافعها : « لا أعلم أنكم بعثتم إلى أحد من أهل عملى شيئا ، وإن هديتك قد وقعت منا بموقع بحيث لا تحب » . ولما رجع عمر ، إنك اشتهيت التفاح ، وهذا ابن عمك ورجل من أهل بيتك أهدى لك تفاحا ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأكل الهدية ، ولا يأكل الصدقة ، فقال عمر لمحدثه .

« ويحك إن الهدية كانت للنبي هدية ، وهى لنا اليوم رشوة »

وكان عمر بن عبد العزيز يقسم تفاح المسلمين من الفيء ، فتناول ابن له صغير تفاحة ، فانتزعها من فيه ، فأوجعه ، وسعى الابن إلى أمه مستعبرا ، فأرسلت بدرهمين إلى السوق ، فاشترت له تفاحا ، ولما رجع عمر ، وجد ريح التفاح ، فقال . يا فاطمة . هل أتيت شيئا من هذا الفيء ؟ قالت . . لا ، وقصت عليه القصة . فقال « والله لقد انتزعتها من ابنى لكأنما انتزعتها من قلبى ، لكنى كرهت أن أضيع نفسى من الله عز وجل بتفاحة من فيء المسلمين . .

وأتت عمر بن عبد العزيز سلتا رطب من الأردن ، فقال « ماهذا ؟ قالوا : « رطب ، بعث به أمير الأردن » . قال

علام جيء به ؟ قالوا . على دواب البريد . قال . فما جعلني الله أحق بدواب البريد من المسلمين ، أخرجوهما ، فبيعوهما واجعلوا ثمنهما في علف دواب البريد ، واشتراهما في السوق ابن أخيه ، وقد بلغتا أربعة عشر درهما ، وذهب بواحدة إلى أمير المؤمنين وحبس لنفسه واحدة ، ولما أتى بها عمر بن العزيز . قال . ماهذا ؟ . قال « اشتريتهما بمالي ، فبعت لك بواحدة ، وحبست لنفسي الأخرى » . فقال عمر « الآن طاب لي أكله »

ونزل عمر بن عبد العزيز ديرا ، فمرت به أطباق . فقال « ماهذه ؟ قيل له . صاحب الدير ، يطعم الناس ، فجاءه بطبق فيه فستق ولوز و فقال عمر . تلك الأطباق مثل هذا ؟ . قال لا . قال . خذ طعامك .

وكان عمر يصلي العتمة ، ثم يدخل على بناته . فيسلم عليهن فدخل عليهن ذات ليلة ، فلما أحسسنه ، وضعن أيديهن على أفواههن ثم تبادرن الباب ، فقال للحاضنة . ماشأنهن ! قالت . إنه لم يكن عندهن شيء يتعشينه إلا عدس وبصل ، فكرهن أن تشتم ذلك من أفواههن . فبكى عمر ، ثم قال لهن : يابناتي ، ماينفعكن أن تعشين الألوان ، ويُيسَر بأبيكن إلى النار . فبكين ، حتى علت أصواتهن ، ثم انصرف .

وقال عمر بن عبد العزيز يوما . « أسخنوا لى ماء أغتسل للجمعة » فقيل له : يا أمير المؤمنين ، لا والله ماعندنا عود حطب . نوقده به ، وذهبوا بالقمقم إلى مطبخ المسلمين ، ثم جاءوا بالقمقم وهو يفور ، فقال عمر « ألم تخبرونى أنه ليس عندكم حطب ، لعلكم ذهبتم به إلى مطبخ المسلمين » . قالوا : « نعم » قال . ادعوا لى صاحب المطبخ » . فلما جاءه ، قال له . قيل لك هذا قمقم أمير المؤمنين ، فأوقدت تحته ؟ « قال لا والله يا أمير المومنين ، ماأوقدت تحته عودا واحدا ، وإن هو إلا جمر ، لو تركته ، لخمد حتى يصير رمادا . قال : فبكم أخذت الحطب ؟ » قال . بكذا » قال « أدوا إليه ثمنه » . وأتى عمر بن عبد العزيز بماء قد سخن فى فهم الإمارة . فكرهه ولم يتوضأ منه .

وطلب عمر بن عبد العزيز من غلامه أن يشوى له كبكبة من لحم ، فعجل بها ، فقال له عمر « أسرعت بها . ! » قال . شويتها فى نار المطبخ ، وكان للمسلمين مطبخ . يغديهم ويعشيهم ، فقال لغلامه : « كلها يا بنى ، فإنك رزقتها ولم أرزقها ، وكان عمر يجعل فى كل يوم درهما من خاصة ماله فى طعام العامة ، ثم يأكل معهم ، فلم يكن عمر يرتزق دون المسلمين ، وكان ينزل بأهل الذمة ، فيقدمون له من الحلبة والبقول ، وأشباه

ذلك ، مما كانوا يصنعون من طعام ، فيعطيهم أكثر من ذلك ويأكل معهم ، فإن أبوا أن يقبلوا ذلك منه ، لم يأكل ، فأما من المسلمين ، فلم يكن يقبل شيئا .

وأخرج من الخزائن مسك من فيء المسلمين ليقسم بينهم ، ووضع بين يدى عمر بن عبد العزيز ، فأمسك عمر بأنفه ، مخافة أن يجد ريحه ، فقال له رجل من أصحابه : « يا أمير المؤمنين ماضرك أن وجدت ريحه . قال : وهل ينتفع من هذا إلا بريحه . ؟ »

وحدث الليث عن محمد بن قيس ، قال : خرج علينا يوما مزاحم ، فقال : لقد احتاج أهل أمير المؤمنين إلى نفقة ، ولا أدرى من أين آخذها ، ولا أدرى ممن أستلفها . فقلت ، لولا قلة ما عندى . لعرضته عليك . قال : وكم عندك ؟ » قلت : خمسة دنانير . قال : والله إن فى خمسة دنانير لبلاغا ، فأعطيتها ، فدفعتها إليه ، ثم أتاه مال من أرض عمر باليمن ، قال : فرعلىّ مزاحم مسرورا ، وقال « قد جاءنا مال من أرض لنا نقضيك الآن تلك الخمسة الدنانير ، ودخل مزاحم وخرج ، وإحدى يديه على رأسه ، وهو يقول : « أعظم الله أجر أمير المؤمنين » .. أعظم الله أجر أمير المؤمنين » قال : قلت . أجل ، أعظم الله أجر أمير المؤمنين ، وما ذاك ؟ . قال . « أمر بهذا المال الذى جاء من

أرضه أن يدخل بيت المسلمين ، فلا أدرى كيف تحيل لى فى الخدمة حتى قضانى .

وقال محمد بن كعب القرظى : دخلت على عمر بن عبد العزيز لما استخلف . وقد نحل جسمه ونفى (١) شعره ، وتغير لونه ، وكان عهدنا به بالمدينة أميرا علينا حسن الجسم ، ملىء البضعة ، فجعلت أنظر اليه نظرا ، لا أكاد أصرف بصرى عنه ، فقال : « يا ابن كعب ، مالك تنظر إلى نظرا ما كنت تنظره إلى من قبل ؟ » فقلت . لعجبى ، قال : « وماذا عجبك ؟ فقلت : « لما نحل من جسمك ، ونفى من شعرك ، وتغير من لونك . قال . وكيف ، لو رأيتنى بعد ثلاث فى قبرى ، حين تقبح عيناى على وجنتى ، ويسيل منخرى وفمى دودا ، وصديدا ، لكنت لى أشد نكرة منك اليوم . . !

وسئلت فاطمة بنت عبد الملك زوجة عمر عن عبادة عمر ، فقالت : « والله ما كان بأكثر الناس صلاة ، ولا أكثرهم صياما ، ولكن والله ما رأيت أخوف لله من عمر ، لقد كان يذكر الله فى فراشه ، فينتفض انتفاض العصفور من شدة الخوف حتى تقول : « ليصيحن الناس ولا خليفة لهم » وكان لعمر

---

(١) شعث وتساقط .

غلام وبرذون بفل عليه ، فسأل عمر الغلام يوما عن حاله ، فقال : « الناس كلهم بخير إلا أنا وأنت وهذا البرذون ، قال عمر : اذهب به فأنت حر . »

وكان عمر بن عبد العزيز يقول قبل الخلافة . « لقد خفت أن يعجز ما قسم الله لى عن كسوتى ، وما لبست ثوبا قط ، فرآه الناس على إلا خيل لى أنه قد بلى » . ولما ولى خرج من ذلك كله ، وحدث رجاء بن حيوة ، قال . ولما استخلف عمر بن عبد العزيز ، قوموا ثيابه ، اثنا عشر درهما . كمته وعمامته وقميصه ، وقباءه ، وخفيه ورداءه . »

وقال رجل لابن عبد العزيز ، وقد رآه فى قميص مرقوع الجيب من بين يديه ومن خلفه : « يا أمير المؤمنين ، إن الله عز وجل قد أعطاك ، فلو لبست . . . فنكس عمر مليا . ثم رفع رأسه ، وقال : « إن أفضل القصد عند الجدة ، وأفضل العفو عند المقدرة » .

ودخل مسلمة بن عبد الملك على عمر بن عبد العزيز يعوده فى مرضه ، فإذا عليه قميص وسخ ، ، فقال لأخته فاطمة زوج عمر : « يا فاطمة اغسلى قميص أمير المؤمنين » . قالت ، نفعل إن شاء الله . ثم غدا عليها مسلمة ، فاذا القميص على حاله ، فقال لها مسلمة : يا فاطمة ، ألم آمركم أن تغسلوا قميص أمير المؤمنين ، فإن الناس يعودونه ، قالت فاطمة « والله ماله

قميص غيره » . وقال له عمر « دعها يا مسلمة ، فما أصبح ولا أمسى لأمير المؤمنين ثوب غير الذى عليه . »

ومر عمر بن عبد العزيز ذات يوم بفاطمة زوجته ، فضرب على كتفها ، وقال ، يا فاطمة . لنحن ليالى دابق أنعم منا اليوم . فقالت . والله ما كنت على ذلك أقدر منك اليوم ، فأدبر عنها ، وله حنين ، وهو يقول ، يا فاطمة ، إنى أخاف النار ، يا فاطمة : « إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم » .

ووفد على عمر بن عبد العزيز بريد من بعض الآفاق ، فانتهى إلى باب عمر ليلا . فقرع الباب ، فخرج له البواب . فقال : أعلم أمير المؤمنين ، أن بالباب رسولا من « فلان » عامله ، فدخل فأعلم عمر - وقد كان أراد أن ينام - فقعد وقال . ائذن له ، فدخل الرسول ، فدعا عمر بشمعة عظيمة غليظة فأسرجت نارا ، وجلس الرسول ، وجلس عمر ، فسأله عن حال أهل البلد ، ومن بها من المسلمين ، وأصل السهل ، وكيف سيرة العامل ، وكيف الأسعار ، وكيف أبناء المهاجرين والأنصار . وأبناء السبيل والفقراء ، وهل أعطى كل ذى حق حقه ، وهل له شاك . وهل ظلم أحدا : فأنبأه بجميع ما علم الرسول من أمر تلك الولاية . يسأله ، فيخفى السؤال ،

حتى إذا فرغ عمر من مسألته . قال له الرسول يا أمير المؤمنين : كيف حالك فى نفسك وبدنك ، وكيف عيالك وجميع أهل خزانتك ، ومن تعنى بشأنه ؟ . فنفخ عمر الشمعة . فأطفأها بنفخته ، وقال : ياغلام ، علىّ بسراج ، فجاء بفتيلة لاتكاد تضىء وقال عمر للرسول : سل عما أحببت فسأله عن حاله . فأخبره عن حاله وحال ولده وعياله وأهل بيته ، فعجب البريد للشمعة وإطفائه إياها . وقال . يا أمير المؤمنين . رأيتك فعلت أمراً . مارأيت مثله . قال . وماهو ؟ . قال . إطفاؤك الشمعة عند مسألتى إياك عن حالك وشأنك ، فقال . ياعبد الله ، إن الشمعة التى رأيتنى أطفأتها ، . من مال الله ومال المسلمين ، وكنت أسألك عن حوائجهم وأمرهم ، فكانت تلك الشمعة تقد بين يدى فيما يصلحهم وهى لهم ، فلما صرت لشأنى وأمر عيالى ونفسى أطفأت نار المسلمين » .

وبعث إليه زوجه بلؤلؤة وقالت له . إن رأيت أن تبعث لى بأخت لها حتى أجعلها فى أذنى ، فأرسل إليها بجمرتين ، وقال لها . إن استطعت أن تجعلى هاتين الجمرتين فى أذنيك بعثت إليك بأخت لها .

# الراعى الأمـــين

هذه الإحاطة بسيرة ابن عبد العزيز الخاصة ، وهذا العرض لما كان بينه وبين أهله وقومه ، ليدل كل ذلك على أن الدولة الإسلامية زمن عمر بن عبد العزيز قد طاف بها طائف من الزهد والورع والتدين اقتداء بالخليفة — والناس على دين ملوكهم . وأصبحت خشية الله تساير الناس فى أعمالهم وفى أقوالهم وفى طعامهم وفى ملبسهم وفى شرابهم ، وصار فى عهد عمر بن عبد العزيز يتقون فيقول الرجل للرجل ، ما وردك الليلة ؟ وكم تحفظ من القرآن ، وفيم تختم ، وما تصوم من الشهر ؟ وأضحى الناس وقد شملتهم نعمتا الرضا واليسر .

وكان الناس من قبله على زمن الوليد بن عبد الملك يسأل بعضهم عن البناء والمصانع ، وفى أيام سليمان ، كان يسأل بعضهم بعضا عن التزويج والجوارى ، فقد كان الوليد صاحب بناء واتخاذ مصانع وضياع ، وكان سليمان صاحب نكاح وطعام .

وإن هذه الروح الدينية التى غلبت على عمر بن عبد العزيز وصيرته زاهـــداً ، وناسكا ، واعظا ، لم تفته عن أن يسمح

لوعظ غيره ، بل إنه كان يسعى لذلك ، ويكاتب العلماء ورجال الدين ، ويتلقى منهم المواعظ فتزداد نفسه هيبة من عذاب الآخرة وخشية من لقاء ربه .

كتب عمر إلى الحسن البصرى : عظنى وأوجز ، فكتب إليه : أما بعد ، فإن رأس ماهو مصلحك ، ومصلح به على يدك ، الزهد فى الدنيا ، وإنما الزهد باليقين ، واليقين بالتفكر ، والتفكر بالاعتبار . فاذا أنت تفكرت فى الدنيا ، لم تجدها أهلا أن تبيع بها نفسك ، وجدت نفسك أهلا أن تكرمها بهوان الدنيا ، فإنما الدنيا دار بلاء ومنزل غفلة ولو كان لك عمر نوح ، وملك سليمان . ويقين ابراهيم ، وحكمة لقمان ، فإن أمامك هول الموت ، ومن ورائه داران ، إن أخطأتك هذه صرت إلى هذه » .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى سالم بن عبد الله يسأله أن يبعث له بكتب عمر بن الخطاب وسيرته وقضائه فى أهل القبلة وأهل الذمة ، فإنه سائر بسيرته ، ومتبع أثره . فكتب إليه سالم .

« . . . أما بعد . . . فإنك يا عمر ، قد وليت أمراً عظيما ، فإن استطعت ألا تخسر نفسك وأهلك يوم القيامة ، فافعل . . . وإن استطعت أن تجىء يوم القيامة لايتبعنك أحد بمظلمة ، ويجىء من قبلك ، وهم غابطون لك ، فافعل ، فإنهم

قد عالجوا نزع الموت ، وعاينوا أهوال المطلع ، وانفقأت أعينهم التى كانت لاتنقضى لذاتها ، وانشقت بطونهم التى كانوا لايشبعون فيها ، واندقت رقابهم غير متوسدين بعد تظاهر الفرش والمرافق والسرر والخدم ، وصاروا جيفا فى بطون الأرض تحت آكامها ، لو كانوا جنب مساكين تأذوا من ريحهم بعد إنفاق ما لا يحصى من الطيب ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، ما أعظم ما ابتليت به ياعمر ، فمن بعثت من عمالك ، فازجره زجرا شديدا شبيها بالعقوبة عن أخذ الأموال وسفك الدماء إلا بحقها ، المال ـ المال ـ ياعمر ، الدم . الدم ياعمر . . كتبت إلى أن أبعث إليك بكتب عمر وسيرته ، وإن عمر عمل فى غير زمانك ، وبغير رجالك ، وليت فى زمن تعلم بعد ما عمل . وأنا أرجو إن عملت على النحو الذى عمل به عمر بعد مابلوت من الظلم أن تكون أفضل من عمر عند الله ، وقل كما قال العبد الصالح : « وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه . .

* * *

وأتى رجل من أذربيجان عمر بن عبد العزيز . وقام بين يديه ، ثم : قال « يا أمير المؤمنين اذكر بمقامى هذا مقاما لاتشغل الله عنك فيه كثرة من يخاصم من الخلائق يوم تلقاه بلا ثقة من العمل ، ولا براءة من الذنب » فبكى عمر بكاء شديدا ؛ ثم

قال للرجل : ويحك ، أردد على كلامك هذا ، فجعل الرجل يردده عليه ، وعمر يبكي وينتحب . ثم قال له ، ما حاجتك ؟ . قال : إن عاملك أذربيجان عدا على ، فأخذ مني اثني عشر ألف درهم ، فجعلها في بيت المال . فقال عمر : اكتبوا السابة إلى عاملها حتى يرد عليه .

. . .

ولما ولي عمر الخلافة ، وفد عليه بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري ، فهنأه فقال : من كانت الخلافة يا أمير المؤمنين شرفته ، فقد شرفتها ، ومن كانت زانته فقد زنتها ، وأنت والله كما قال مالك بن أسماء .

وتزيدين طيب الطيب طيبا  إن تمسيه : أين مثلك أينا
وإذا الدر زان حسن وجوه  كان للدر حسن وجهك زينا

فجزاه عمر خيرا ، ولزم بلال المسجد ، يصلي ، ويقرأ ليله ونهاره ، فهم عمر أن يوليه العراق ، وأراد أن يخبر أمانته ، فقال للعلاء بن المغيرة : « إن يكن سر الرجل كعلانيته ، فهو رجل العراق غير مدافع » ودسه إليه ليأتيه بخبره ، فأتاه العلاء فقال له : قد عرفت حالي من أمير المؤمنين ، فإن أنا أشرت بك على ولاية العراق ، فما تجعل لي ؟ . . قال : لك عمالتي سنة ـ وكان مبلغها عشرين ألف ألف درهم ـ قال العلاء .

فاكتب لى بذلك فأسرع بلال إلى منزله ، فأتى بدواة وصحيفة ، وكتب له بذلك . فأتى العلاء عمر بالكتاب ، فنفذ عمر بلالا ، وأخرجه ، وكتب إلى والى الكوفة : « أما بعد ، فإن بلالا غرنا بالله ، فكدنا نغتر : فسبكيناه ، فوجدناه خبثاكله . . !

. . .

وعمد عمر إلى النظام الإقليمى فأصلحه ، بأن عزل العمال المتشبعين بروح الحجاج ، عزل يزيد بن المهلب ، وحبسه فى مال كان للدولة فى ذمته ، ونفى نفرا من بنى عقيل أسرة الحجاج وولى عمالا جددا ، لم يحفل فى تخييرهم بعصبياتهم ، ولا بقدرتهم على جمع الأموال كما كانت الحال من قبل ، ولكن بحسن سيرتهم وطهارة ذمتهم ، فكان من عماله : عدى بن أرطاة الفزارى والى البصرة ، وعبد الحميد بن عبد الرحمن القرشى والى الكوفة ، وعبد الرحمن بن نعيم القشيرى والى خراسان ، وأبو بكر بن حزم أمير المدينـــة ، والصمح ابن مالك الخولانى أمير الأندلس ، وأيوب بن شرحبيل أمير مصر .

وقد شد عمر أزر الولاة بقضاة عدول ، فجعل الحسن البصرى على قضاء البصرة ، وعامرا الشعبى على قضاء الكوفة ، كما جعل أبا الزناد كاتبا لأمير الكوفة ، ولم يكتف عمر بذلك فى إصلاح الإدارة الإقليمية ، بل تقدم إلى العمال فى أمر العقوبات ،

ألا يأمروا بقطع أو صلب قبل مراجعته هو . وكانت كتبابانه إلى الولاة فى كل أمر يعنيه منهجا قويما لكل راع مسئول عن رعيته .

كتب عمر بن عبد العزيز إلى ولاة الأقاليم كتابا دوريا ، قال فيه : « أما بعد ، فإن عرى الدين ، وقوام الاسلام ، الايمان بالله . وإقام الصلاة لوقتها ، وإيتاء الزكاة ، وحافظ على أوقات الصلوات ، فإن وقتها الهجيرة بالظهر ، وصلاة العصر والشمس بيضاء نقية ، لم يدخلها صفرة ، وصلاة المغرب لفطر الصائم ، ولا تصلين العشاء حتى يذهب شفق الأفق . وهو البياض ، فاذا ذهب فصلها فيما بين ثلث الليل : . ثم صل صلاة الفجر بغلس ، وحافظ على ذلك ، فإن المحافظة عليها حق ، واصبر نفسك على ذلك ، واجتنب الأشغال عند حضور الصلوات ، واكتب بذلك إلى عمالك بالمدائن والقرى وحيث ما كانوا ، فإن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا » و « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر ، فإنه من ضيع الصلاة ، فهو لما سواها من شرائع الإسلام أشد تضييعا ، ثم أكثر تعاهد شرائع الإسلام ، ومر أهل العلم والفقه من جندك فلينشروا ما علمهم الله من ذلك ، وليتحدثوا به فى مساجدهم » .

وكتب عمر إلى أمراء الأجناد ، فقال : « أما بعد :

، فإنه من بلى بالسلطان تحضره مكاره كثيرة وبلايا عظام ، إن أغبّته يوما فهى حرية أن تحضره فى اليوم الآخر ، فاتق الله ما استطعت ، واذكر منزلك الذى أنت به ، والذى حوّلت ، وقاتل هواك كما تقاتل عدوك ، واصبر نفسك على ما كرهت ابتغاء ما عند الله من حسن ثوابه الذى وعد المتقون فيما بعد الموت ، والذى وعدكم على التقوى والصبر من النجاة فى عاجل الأمر وآجله ، فإذا حضرك الخصم الجاهل الخرق ممن قدر الله أن يوليك أمره ، وأن تبتلى به ، فرأيت منه سوء نزعة ، فسدده ما استطعت ، وبصّره ، وارفق به وعلمه . فإن اهتدى وأبصر ، وعلم ، كانت نعمة من الله وفضلا . . وإن رأيت أنه أتى ذنبا استحل فيه عقوبة ، فلا تعاقبه بغضب من نفسك عليه ، ولكن عاقبه ، وأنت تتحرى الحق فى قدر ذنبه ، بالغا ما بلغ ، ولا يسرعن بك إلى عقوبته حضور من يحضرك ، وما من قوم يسمعون بقضاء إمام إلا سيختلفون فيه على أهوائهم إلا من رحم الله ، وإن استجهلت ، فتثبت . . . . ثم تعاهد صاحب بابك وصاحب حرسك ، وعاملك المقيم عندك . والذين تبعث ، فلا يعملون فى شىء مما تحت يدك بغشم ولا بظلم ، وأكثر المسألة عنهم . فمن كان منهم محسنا نفعه ذلك ، ومن كان منهم مسيئا استبدلت به من هو خير منه » .

وكتب عمر إلى عماله : إن الولاية بلاء ، فقال : « أما بعد ، فإن من يلى من أمر السلطان بشىء ، فقد ابتلى فى الدنيا ببلية عظيمة مع ما ابتلى به فى خاصة نفسه . . . وإنما وجدت والى السلطان عبدا مملوكا ، ورُمِّى ضيعة ، عليه الاجتهاد فى إصلاحها ، أجره إحسان أحسنه . فاصبر على ما كرهنا ، واصبر على ما أحببت ، وقف نفسك فى كل سر وعلانية عند الذى ترجو به النجاة عند ربك حتى تفارق الذى أنت فيه . . وتذكر ما سلف منك من عملك فيما سلف ، مما لا تحب فأصلحه قبل أن يتولى صلاحه غيرك ، ولا يكبر عليك فى ذلك قول الناس . . . وكن لمن ولاك الله امره ناصحا فيما بعثتك إليه من أمورهم ، وأغراضهم ، واستر كل ما استطعت من عوراتهم إلا شيئا أبداه الله ، لا يصلح لك ستره ، واملك نفسك عنهم إذا هويت وإذا غضبت . . وإذا سبقك أمر أو سلف منك هوى أو غضب ، فراجع أمرك . .

وكتب أيضا إلى العمال يحثهم على اتباع ما أمر الله ، واجتناب ما نهى عنه ، فقال . . « أما بعد ، فإن هذا الأمر الذى ولانى الله ، لو كنت إنما أصبحت ، ورغبتى فيه مطعم أو ملبس أو مركب ، أو اتخاذ أزواج أو اغتدد أموال ، لكنت قد بلغت من ذلك قبل ما ولانى من أفضل ما بلغ بعباده ،

ولكني أصبحت له خائفا ، أعلم أن فيه أمراً عظيما ، وحسابا شديدا ، ومسألة لطيفة ، عند مجامعة الخصوم بين يدى الله . . وإنى آمرك فيما وليتك من عمل ، وأفضيت إليك من أمرى ، بتقوى الله وأداء الأمانة ، واتباع ما أمر الله به ، واجتناب ما نهى الله عنه ، وقلة الالتفات إلى شيء خالف ذلك . . . وأنت تفهم علما يقينا أنه ليست نجاة ولا حرز إلا أن ينزل بذلك المنزل من طاعة الله ، ودع أن ترصد شيئا ليوم ترجوه ، أو تخافه ، سوى ما ترجوه غدا من الله وتخاف منه » .

* * *

وإن القانون الأساسى الذى سارت عليه الجمهورية الاسلامية فى عهد عمر بن عبد العزيز تتمثل مواده فيما كتب به عمر إلى العمال . حيث يقول :

« . . أما بعد ، فإن الله بعث محمدا . . . بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون ، وإن دين الله الذى بعث به محمدا . . كتابه الذى أنزل عليه ، أن يطاع الله فيه ، ويتبع أمره ، ويجتنب ما نهى عنه ، وتقام حدوده ، ويعمل بفرائضه ، ويحل حلاله ، ويحرم حرامه ، ويعترف بحقه ، ويحكم بما أنزل فيه . من اتبع هدى الله ، اهتدى ، ومن صد عنه ، فقد

عمل سواء السبيل » . وإن من طاعة الله التى أنزل فى كتابه أن يدعو الناس إلى الإسلام كافة ، وأن يفتح لأهل الإسلام باب الهجرة ، وأن توضع الصدقات والأخماس على قضاء الله وفرائضه ، وأن يبتغى الناس بأموالهم فى البر والبحر ، لا يمنعون ولا يحبسون . . . . فمن أسلم من نصرانى أو يهودى أو مجوسى من أهل الجزية اليوم ، فإن له ما للمسلمين ، وعليه ما عليهم . . » وأما من كان محاربا ، فليدع إلى الإسلام قبل أن يقاتل ، فإن أسلم فله ما للمسلمين وعليه ما عليهم ، وله ما أسلم عليه من أهل ومال ، وإن كان من أهل الكتاب فأعطى الجزية ، وأمسك ، فإنا نقبل ذلك منه . »

وأما الهجرة ، فإنا نفتحها لمن هاجر من أعرابى ، فباع ماشيته ، وانتقل من دار أعرابيته إلى دار الهجرة ، وإلى قتال عدونا ، فمن فعل ذلك ، فله أسوة المهاجرين فيما أفاء الله عليهم . . . وقد كان المهاجرون يجاهدون على غير عطاء ولا رزق يجرى عليهم ، فيوسع الله عليهم . . وأما الصدقات ، فإن الله تبارك وتعالى فرضها ، وسمى أهلها حين طعن فيهم أناس ، ولغوا فيها تهمة نبيهم : فقال . « ومنهم من يلمزك فى الصدقات ، فإن أعطوا منها رضوا ، وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون » .

فقال الله تعالى : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين

عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفى الرقاب ، والغارمين ، وفى سبيل الله ، وابن السبيل ، فريضة من الله ، والله عليم حكيم » .

وأما الخمس . . . . فقد قضى فيه عمر ، أن يلحق الخمس بالفيء . وأن يوضع مواضعه التى سمى الله ، وفرض ، فاقتدوا بإمام عادل ، فإن الآيتين متفقتان ، آية الفيء ، وآية الخمس . فإن الله قال . « ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى ، فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل » وكذلك فرض الله الخمس ، فنرى أن يحصا جميعا ، فيجعلا فيئا للمسلمين ، ولا يستأثر عليهم ، ولا يكون . . دولة بين الأغنياء منكم » .

وأما البحر ، فإنا نرى سبيله سبيل البر ، قال . « الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ، ولتبتغوا من فضله » فأذن فيه أن يتجر فيه من شاء ، وأرى ألا نحول بين أحد من الناس وبينه ، فإن البر والبحر لله جميعا ، سخرهما لعباده ، يبتغون فيهما من فضله ، فكيف نحول بين عباد الله وبين معايشهم .

ثم إن المكيال والميزان نرى فيهما أمورا ، علم من يأتيها أنها ظلم ، إذ ليس فى المكيال زيغ إلا من تطفيف ، ولا فى الميزان فضل ، إلا من بخس ، فنرى أن تمام مكيال الأرض وميزانها

أن يكون واحدا فى جميع الأرض كلها .

وأما العشور ، فنرى أن توضع إلا عن أهل الحرث ، فإن أهل الحرث يؤخذون بذلك ، وإنما أهل الجزية ثلاثة نفر : «صاحب أرض يعطى جزيته منها ، وصانع يخرج جزيته من كسبه وتاجر يتصرف بماله ، يعطى جزيته من ذلك ، وإنما سنتهم واحدة ، فأما المسلمون فإنما عليهم صدقات أموالهم» .

ونرى ألا يتجر إمام ، ولا يجعل لعامل تجارة فى سلطانه الذى هو عليه ، فإن الأمير متى يتجر يستأثر ويصيب أمورا فيها غنت ، وإن حرص على ألا يفعل .

ونرى أن توضع السخرة عن أهل الأرض ، فإن غايتها أمور يدخل فيها الظلم . ونرى أن ترد المزارع لما جعلت له ، فإنما جعلت لأرزاق المسلمين عامة ، وإن أمر العامة هو أفضل للنفع وأعظم للبركة .

ثم إن مواريث أهل الأرض ، إنما هى لأوليائهم ، أو لأهل أرضهم الذين يخرجون الخراج .

* * *

وكان عمر بن عبد العزيز إلى هذا ضنينا بمال المسلمين ، حريصا عليه ، يأخذ الولاة على حفظه ، ويحملهم على رعاية الله فيما بين

عليه . يأخذ الولاة على حفظه ويحملهم على رعاية الله فيما بين أيديهم منه ، وقد جعل سلوكه سنة لهم ، وكتب إليه والى المدينة محمد ابن حزم أنه كان يقطع عمن كان مثله من أمراء المدينة من الشمع كذا وكذا ، يستضيئون به فى مخرجهم . . فرد عليه عمر : لقد ابتليت بجوابك ، ولعمرى لقد عهدتك يا ابن أم حزم ، وأنت تخرج من بيتك فى الليلة الثانية المظلمة بغير مصباح ، ولعمرى لأنت يومئذ خير منك اليوم ، ولقد كان فى قتائل أهلك ما يغنيك . وكتب إليه عمر أيضا ، وقد سأله ابن حزم ، أن يجرى عليه ما كان يجرى على من كان قبله من القراطيس لحوائج المسلمين ، فقال له : « إذا جاءك كتابى هذا ، فأرق القلم ، واجمع الخط ، واجمع الحوائج الكثيرة فى الصحيفة الواحدة ، فإنه لا حاجة للمسلمين فى فضل قول أضر ببيت مالهم .

وجاء رجل إلى عمر يشكو إليه عدى بن أرطاة فى أرض له ، فقال له عمر « قد عنّاك إلى » إنى كتبت له ، إنه من أتاك ببينة على حق هو له ، فسلمه إليه » . وأمر عمر برد أرض الرجل إليه : ثم سأله عمر « كم أنفقت فى مجيئك إلى ؟ . فقال الرجل : يا أمير المؤمنين ، تسألنى عن نفقتى ، وأنت قد رددت على أرضى ، وهى خير من مائة ألف ؟ فقال عمر : إنما رددت

عليك حقك ، فأخبرني كم أنفقت ، قال : ما أدري ، قال : أحزره ، قال : ستون درهما ، فأمر له عمر بها من بيت المال ، ولما ولى الرجل ، صاح به عمر . فرجع ، فقال له خذ هذه خمسة دراهم من مالى ، فكل بها لحما حتى ترجع إلى أهلك إن شاء الله .»

. . .

وأبلغ من ذلك فى الدلالة على تحرى عمر العدل المطلق ماروواه البلاذرى . قال : « قال ضمرة عن على بن أبى حملة ، خاصمنا العجم من أهل دمشق . فى كنيسة أدخلها الوليد فى مسجد دمشق بغير رضا النصارى ، وشكوا إلى عمر بن عبد العزيز مافعل الوليد فى كنيستهم ، فكتب عمر إلى عامله ، يأمره برد ما زاده فى المسجد عليهم ، فكره أهل دمشق ذلك ، وقالوا : نهدم مسجدنا بعد أن أذنا فيه ، وصلينا ، ويرد عليهم بيعة ، وفيهم يومئذ سليمان ابن حبيب المحاربى وغيره من الفقهاء . وأقبلوا على النصارى ، فسألوهم أن يعطوا جميع كنائس « الغوطة » التى أخذت عنوة ، وصارت فى يد المسلمين ، على أن يصفحوا عن كنيسة دمشق التى ضمت إلى المسجد ، فرضوا بذلك . وأعجبهم ، فكتب العامل إلى عمر به ، فسره ، وأمضاه .

ولقد كان عمر يدرك أن بيت المال هو بيت المسلمين ، يجب

أن يشملهم ويرعى مصالحهم .

كان يأمر عماله بقضاء الديون عن الغارمين ، فكتب إليه بعضهم « إنا نجد الرجل له المسكن والخادم ، وله الفرس والأثاث فى بيته » . فكتب إليه عمر « لابد للرجل من المسلمين من مسكن يأوى إليه ، وخادم يكفيه مهنته ، وفرس يجاهد عليه عدوه ، وأثاث فى بيته ، فهو غارم ، فاقضوا عنه » .

وقال يحيى بن سعيد : بعثنى عمر بن عبد العزيز على صدقات إفريقية ، فاقتضيتها . وطلبت الفقراء . لأعطيها لهم ، فلم نجد فقيرا ولم نجد من أهلها من يأخذها منى . قد أغنى عمر بن عبد العزيز الناس ، فاشتريت بها رقابا ، فأعتقتهم . .

وحدث رجل من ولد زيد بن الخطاب ، قال . إنما ولى عمر ابن عبد العزيز سنتين ونصفا ، فذلك ثلاثون شهرا ، فما مات حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم ، فيقول : اجعلوا هذا حيث ترون فى الفقراء ، فما يبرح ، حتى يرجع بماله ، يتذكر من يصنعه فيهم ، فلا يجده ، فيرجع بماله . قد أغنى عمر بن عبد العزيز الناس .

ولما جاء أصحاب مراكب الخلافة يسألون عمر بن عبد العزيز الملوفة ، ورزق خدمها ، قال عمر « وكم هى . قالوا . كذا وكذا قال ، ابشروا بها إلى أمصار الشام يبيعونها . فيمن يريد ، واجعلوا

أثمانها فى مال الله عز وجل ، فكفنى بغلتى هذه الشهباء .

وجاءه صاحب الرقيق ، يسأل أرزاقهم وكسوتهم ، وما يصلحهم ، فقال عمر . كم هم . قالوا ، هم كذا وكذا ألفا ، فكتب إلى أمصار الشام أن ارفعوا إلىّ كل أعمى فى الديوان ، أو مقعدا ، أو من به فلج ، أو من به زمانة ، تحول بينه وبين القيام إلى الصلاة ، فرفعوا إليه ، فأمر لكل أعمى بقائد من حرسه ، وأمر لكل اثنين من الزمنى بخادم ، وفضل من الرقيق ، فكتب ، أن ارفعوا إلى كل يتيم أو من لا أحد له ، ممن قد جرى على والده الديوان ، وأمر لكل خمسة بخادم يتوزعونه بينهم بالسوية .

وأتى بسارق إلى عمر بن عبد العزيز . فشكا له السارق حاجة فعذره ، وأمر له بعشرة دراهم .

وكتب حجبة البيت إلى عمر بن عبد العزيز ، يأمر للبيت بكسوة ، كما كان يفعل من كان قبله ، فكتب إليهم . إنى رأيت أن أجعل ذلك فى أكباد جائعة ، فإنه أولى بذلك من البيت » .

وطلب ابن لعمر بن عبد العزيز إلى أبيه أن يزوجه ، وأن يصدق عنه من بيت المال ، وكان لابنه هذا امرأة ـ فغضب لذلك عمر ، وكتب إليه . لقد أتانى كتابك تسألنى أن أجمع لك بين الضرائر من بيت مال المسلمين ، وأبناء المهاجرين لا يجد أحدهم

امرأة يستعف بها ، فلا أعرفن ما كتبت بمثل هذا . ثم كتب إليه . « أن انظر إلى ماقبلك من نحاسنا ومتاعنا ، واستعن بثمنه على ما بدا لك .

وكان عمر بن عبد العزيز يفرض على الدولة الإشراف والانفاق على التعليم ، والعمل على نشره بين أبنائها ، فقد أراد تعليم الناس فى قوله : « إن للاسلام حدودا وشرائع وسننا . . . فإن أعش أعلمكموها وأعلمكم عليها » وقوله : « تعلموا العلم ، فإنه زين للغنى ، وعون للفقير . لا أقول إنه يطلب به ، ولكنه يدعو إلى القناعة ، وقوله : « إن استطعت فكن عالما ، فإن لم تستطع فكن متعلما ، فان لم تستطع فأحبهم ، فإن لم تستطع فلا تبغضهم .

ولقد أخذ عمر بن عبد العزيز فى نشر العلم ، فبعث يزيد ابن أبى مالك الدمشقى ، والحارث بن محمد الأشعرى إلى البادية أن يعلما النـــاس . وأجرى عليهما رزقا ، فقبل يزيد ، ولم يقبل الحارث الأجر ، وقال : ما كنت لآخذ على علم علمنيه الله أجرا » . وذكر ذلك لعمر . فقال « مانعلم بما صنع يزيد بأسا ، وأكثر الله فينا مثل الحارث .

وعمر بن عبد العزيز هو أول خليفة أمر بجمع أحاديث رسول الله وتدوينها . فقد كتب الى محمد بن حزم والى المدينة

أن انظر إلى ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سنته ، فاكتبه ، فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء » وكتب إلى عماله في الآفاق « أن أنظروا إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاجمعوه . .

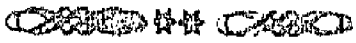

# الخليفة .. والشعراء

ولما رأى عمر أن ليس للشعراء حق فى بيت المال جعل يجزيهم من عطائه وماله الخاص على قلته ، بالدراهم والدنانير المعدودة ، وقد أدرك الشعراء علة حرمه هذا ، فكانوا يقبلون منه العطاء اليسير ، أو الرد أحيانا بغير عطاء ، ولم يقصروا فى مدحه والثناء عليه .

وفدت إليه الشعراء ، كما كانت تفد إلى الخلفاء قبله : وكان فيمن حضر نصيب ، وجرير ، والفرزدق والأحوص وكثير والحجاج القضاعى والأخطل ، فأقاموا ببابه شهرا ، لا يأذن لهم بالدخول فلم يكن لعمر فيهم رأى ولا مأرب ، وإنما كان رأيه وبطانته وأهل أربه القراء ، ومن وسم عنده بالورع والتقوى ، يبعث إليهم حيث كانوا - حتى قدم عون بن عبد الله بن عتبة ، وكان ورعا فقيها ، مفوها فى المنطق ، فرآه جرير على باب عمر معتما بعمامة قد أرخى طرفيها ، فصاح به جرير :

يا أيها القارئ المرخى عمامته ... هذا زمانك إنى قد مضى زمنى
أبلغ خليفتنا إن كنت لاقيه ... أنى لدى الباب كالمصفود فى قرن
وحش المكانة من أهلى ومن ولدى ... نائى المحلة عن دارى وعن وطنى

فقال بن عتبة « نعم » ولما دخل على عمر ، قال : يا أمير المؤمنين ، إن الشعراء ببابك ، وسهامهم مسمومة ، وأقوالهم نافذة باقية . فقال عمر : ويحك مالى وللشعراء ؟ قال ابن عتبة: « أعز الله أمير المؤمنين ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امتدح ، وأعطى ، وفى رسول الله أسوة لكل مسلم » ، قال عمر ، ومن مدحه ؟ قال . عباس بن مرداس ، فكساه حلة تطح بها لسانه . . قال . وتروى من قوله شيئا ؟ قال : نعم . وأنشده :

رأيتك يا خير البرية كلها ... نشرت كتابا جاء بالحق معلما
شرعت لنا دين الهدى بعد جورنا ... عن الحق لما أصبح الحق مظلما
أقمت سبيل الحق بعد اعوجاجه ... وكان قديما ركنه قد تهدما

قال عمر . صدقت ، فمن بالباب منهم ؟ قال . ابن عمك عمر ابن أبى ربيعة ، قال : لا قرّب الله قرابته ، ولا حيا بوجهه ، أليس هو القائل :

ألا ليت أنى يوم حانت منيتى ... شممت الذى ما بين عينيك والفم
وليت طهورى كان ريقك كله ... وليت حنوطى من مشاشك والدم
وياليت سلمى فى القبور ضجيعتى ... هنالك أو فى جنة أو جهنم

فليته والله تمنى لقاءها فى الدنيا ، ويعمل عملا صالحا ، والله لادخل على أبدا ، فمن بالباب غير من ذكرت ؟ قال ، جميل

ابن معمر العذرى ، قال أليس هو الذى يقول :

ألا ليتنا نحيا جميعا وإن نمت ... يوافى لدى الموتى ضريحى ضريحها
فما أنا من طول الحياة براغب ... إذا قيل قد سوّى عليها صفيحها
أظل نهارى لا أراها ، ويلتقى ... مع الليل روحى فى المنام وروحها

أعزب ، فوالله ، لادخل على أبدا ، فمن غير الذى ذكر ؟ قال كثير عزة ، قال . هو الذى يقول :

رهبان مدين والذين عهدتهم ... يبكون من حذر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعت حديثها ... خروا لعزة ركعا وسجودا

أعزب به ، فمن بالباب غير من ذكرت ، قال . همام ابن غالب الفرزدق ، قال ، أليس هو القائل يفخر بالزنا :

هما دلتانى من ثمانين قامة ... كما انقض باز أقتم الريش كاسره
فلما استوت رجلاى فى الأرض قالتا ... أحى يرجّى أم قتيل نحاذره
فقلت ارفعوا الأسباب لا يشعروا بنا ... ووليت فى أعقاب ليل أبادره

أعزب به ، لايطأ والله بساطى ، فمن بالباب غير من ذكرت ؟ قال . الأخطل التغلبى ، قال . أليس هو الذى يقول :

فلست بصائم رمضان عمرى ... ولست بآكل لحم الأضاحى
ولست بزاجر عنا بكورا ... إلى بطحاء مكة للنجاح

ولست بقائم كالعير أدعو  قبيل الصبح حى على الفلاح
ولكنى سأشربها شمولا  وأسجد عند منبلج الصباح

أعزب به ، فو الله لا وطئ لى بساطا أبدا ، وهو كافر ، فمن بالباب غير من ذكرت ؟ قال . جرير بن الخطفى ، قال . أليس هو القائل :

لولا مراقبة العيون أرينا  مقل المها وسوالف الآرام
هل ينهينك أن قتلن مرقشا  أو ما فعلن بعروة بن حزام
ذم المنازل بعد منزلة اللوى  والعيش بعد أولئك الأيام
طرقتك صائدة القلوب وليس ذا  حين الزيارة فارجعى بسلام

فإن كان لابد ، فهذا ، وأذن لجرير ، فدخل ، وهو يقول :

إن الذى بعث النبى محمدا  جعل الخلافة فى إمام عادل
وسع الخلائق عدله ووفاؤه  حتى رعوا وأقام ميل المائل
والله أنزل فى القران فريضة  لابن السبيل وللفقير العائل
إنى لأرجو منك خيرا عاجلا  والنفس مولعة بحب العاجل

ولما مثل جرير بين يدى عمر بن عبد العزيز . قال له عمر : ويحك يا جرير . اتق الله ولا تقل إلا حقا ، فأنشأ يقول :

أأذكر الجهد والبلوى التى نزلت  أم أكتفى بالذى نبئت من خبرى
كم باليمامة من شعثاء أرملة  ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر

من يعـــدّك تكفى فقد والده ... كالفرخ فى العش لم ينهض ولم يطر
يدعوك دعوة ملهوف كأن به ... خبلا من الجن أو مسا من البشر
خليفة الله ماذا تأمرون بنا ... لسنا إليكم ولا فى دار منتظر
ما زلت بعدك فى هم يؤرقنى ... قد طال فى الحى إصعادى ومنحدرى
لا ينفع الحاضر المجهود باديتنا ... ولا يعود لنا باد على حضر
إنا لنرجو إذا ما الغيث أخلفنا ... من الخليفة ما نرجو من المطر
نال الخلافة إذ كانت له قدرا ... كما أتى ربّه موسى على قدر
هذى الأرامل قد قضيت حاجتها ... فمن لحاجة هذا الأرمل الذكر

فقال عمر : ياجرير ، والله لقد وليت هذا الأمر ، وما أملك إلا ثلاثمائة درهم ، فمائة أخذها عبد الله ، ومائة أخذتها أم عبد الله .. يا غلام .. إعطه المائة الباقية ، فأخذها جرير : وقال . والله ياأمير المؤمنين إنها لأحب مال كسبته .

ولما خرج من عنده قال الشعراء له : ما وراءك ؟ قال : مايسوءكم ، خرجت من عند رجل يعطى الفقراء ، ويمنع الشعراء ، وأنا مع ذلك عنه راض ، ثم أنشأ يقول :

رأيت رقى الشيطان لا تستفزه ... وقد كان شيطانى من الجن راقيا

وحدث كثير عزة قال :

« لما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة قدمت أنا ونصيب والأحوص ، وكل واحد منا يدل بسابقته عند عبد العزيز بن مروان ، وإخائه لعمر ،

فكان أول من لقينا مسلمة بن عبد الملك ، وهو يومئذ فتى العرب ، وكل واحد منا ينظر فى عطفه ، ولا يشك أنه شريك الخليفة فى الخلافة ، فأحسن ضيافتنا وأكرم مثوانا . ثم قال : أما علمتم أن إمامكم لا يعطى الشعراء شيئا . قلنا : قد جئناك الآن فوجه لنا فى هذا الأمر وجها . فقال : إن كان ذو دين من آل مروان قد ولى الخلافة فقد بقى من ذوى دنياهم من يقضى حوائجكم ، ويفعل بكم ما أنتم له أهل ، ليكم عندى ما تحبون . فأقمنا على باب عمر أربعة أشهر ، لا نصل اليه ، وجعل مسلمة يستأذن لنا فلا يؤذن ، فقلت : لو أتيت المسجد يوم الجمعة ، فتحفظت من كلام عمر شيئا . فأتيت المسجد ، فسمعته يقول فى خطبته له :

« لكل سفر زاد لا محالة . فتزودوا من الدنيا إلى الآخرة ، التقوى ، وكونوا كمن عاين ما أعد الله له من ثوابه وعقابه ، فعمل طلبا لهذا ، وخوفا من هذا ، ولا يطولن عليكم الأمد ، فتقسو قلوبكم ، وتنقادوا لعدوكم ، واعلموا أنه إنما يطمئن بالدنيا من وثق بالنجاة من عذاب الله فى الآخرة ، فأما من لا يداوى جرحا إلا أصابه جرح من ناحية أخرى ، فكيف يطمئن بالدنيا ، أعوذ بالله أن آمركم بما أنهى نفسى عنه ، فتخسر صفقتى ، وتبدو عاتى ، وتظهر مسكنتى ، فى يوم لا ينفع فيه إلا الحق والصدق . »

فارتج المسجد بالبكاء . وبكى عمر ، حتى بل ثوبه ، وظننا أنه قاض

نحبه ، فبلغت إلى صاحبي ، فقلت : جددوا لعمر من الشعر غير ما أعددناه ، فإن الرجل أخروى ، وليس بدنيوى .

ثم إن مسلمة استأذن لنا يوم جمعة بعد ما أذن للعامة ، فدخلنا وسلمنا عليه بالخلافة ، فرد علينا . فقلت يا أمير المؤمنين : طال الثواء ، وقلت الفائدة ، وتحدثت بفضائلك إيانا وفود العرب .

فقال عمر يا كثير : أما سمعت قول الله عز وجل فى كتابه : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفى الرقاب ، والغارمين وفى سبيل الله ، وابن السبيل . فريضة من الله ، والله عليم حكيم » أفمن هؤلاء أنت ؟ . فقلت له وأنا ضاحك . أنا ابن سبيل ومنقطع به ، قال . أولست ضيف أبى سعيد ؟ قلت . بلى .

قال عمر — ما أحسب من كان ضيف أبى سعيد ابن سبيل ، ولا منقطعا به .

ثم استأذن كثير فى الإنشاد ، فقال له عمر . قل ، ولا تقل إلا حقا ، فإن الله سائلك ، فقال :

وليت ، فلم تشتم عليا ، ولم تخف ... بريا ، ولم تتبع مقالة مجرم
وقلت فصدقت الذى قلت بالذى ... فعلت ، فأضحى راضيا كل مسلم
تركت الذى يفنى وإن كان مونقا ... وآثرت ما يبقى برأى مصمم
سمالك هم فى الفؤاد مسؤرق ... صعدت به أعلى المعالى بسلم

فما بين شرق الأرض والغرب كلها  منادٍ ينادي من فصيح وأعجم
يقول أمير المؤمنين ظلمتني  بأخيذ دينار ولا أخذ درهم
فلو يستطيع المسلمون اقتسموا  لك الشطر من أعمارهم غير ندم
فأربح بها من صفقة لمبايع  وأعظم بها أعظم بها ، ثم أعظم

فقال عمر . ياكثير ، إن الله سائلك عن كل ماقلت ، ثم تقدم الأحوص فاستأذنه ، فقال له عمر . قل ، ولا تقل إلا حقا فإن الله سائلك ، فأنشده الأحوص . . ثم تقدم إليه نصيب فاستأذن فى الإنشاد ، فأبى عمر أن يأذن له . وغضب غضبا شديدا ، وأمره باللحاق بدابق .

وقال لهم عمر . ماعندى ما أعطيكم ، فانتظروا حتى عطائى ، فأواسيكم منه ، وانتظروا حتى خرج لهم ، فأمر لكل بمائة وخمسين درهما .

. . .

هذا هو موقف عمر من الشعر والشعراء بعد استخلافه ، وهو الذى تاقت نفسه إلى الشعر ، وهو صغير ، فأصاب منه ، ثم أصاب فيه ، وينسب إليه قوله قبل الخلافة :

إنه الفؤاد من الصبا  وعن انقياد للهوى
ولعمر ربك إن فى  شيب المفارق واللحى

لك واعظا إن كنت تحفظ لحاظ أولى النهى
حتى متى لا ترعوى حتى متى وإلى متى
ما بعد ما سميت كهلا واستلبت اسم الفتى
بلى الشباب وأنت إن عمرت رهن للبلى
وكفى بذلك زاجرا المرء عن فى كفى

وقوله :

ومن الناس من يعيش شقيا جيفة الليل غافل اليقظه
فإذا كان ذا حياء ودين راقب الله واتق الحفظه
إنما الناس راحل ومقيم فالذى سار للمقيم عظه

وقوله :

إنى لأمسح من يواصلنى فى صفاء ليس بالمذق
وإذا أخ لى حال عن خلق داريت منه ذاك بالرفق
والمرء يصنع نفسه ومتى ما تبله يرجع إلى العرق

ووقف الشعبى على رأس عمر بن عبد العزيز ، فأطال الوقوف فقال له : إنك لواقف يا شعبى ، خذ إليك ، وأنشده :

هب الدنيا تزف زفا زفاف عرائس باكرن قصفا
وقد ملكتها شرقا وغربا حويت بجمعها برا وطفا
يحثن بألف ألف كل يوم ويتبع ألفها سبعون ألفا

إذا عاديت قوما فى بـلاد　　أتيت على جميع الناس عسفا
ألست ملاقيا لا شك فيه　　وإن عمرت طول الدهر حتفا
فما ترجو بدار لست تراها　　بكل سرورها أبداً تكفا

. . .

رحم الله عمر بن عبد العزيز . .

لم تكن أموال الدولة عبثا وطموا ، حتى يبعثر منها على مواكب النفاق من الشعراء المرتزقين ، لأنه لم يكن فى حاجة إلى المديح والثناء فعدله وإخلاصه للحكم قد منحاه كل ثقة وتقدير من الرعية .

## عمر .. والسياسة الخارجية

وقد سلك عمر بن عبد العزيز فى أمر خلافته من حيث العلاقات الخارجية مسلكا بدعا ، لم يسبق إليه ، ولم يلحق فيه ، وذلك أنه أقفل جميع جيوش المسلمين التى كانت تغزو وراء الحدود ، فأقفل مسلمة بن عبد الملك وكان مرابطاً حول أسوار القسطنطينية ، وأعانه بالقفول بأموال بعث بها إليه ، وأقفل الغزاة بما وراء النهر على كره منهم ؛ كما أقفل من كانوا يغزون بالسند ، ولم يقف عمر فى هذا الأمر الخطير عند هذا الحد ، بل اتبع العدول عن سياسة العنف بالدعوة السلمية إلى الإسلام ، ويروى البلاذرى أنه لما أقفل الجيوش التى كانت تغزو بما وراء النهر ، كتب إلى ملوك تلك الجهة من الترك ، يدعوهم إلى الإسلام والطاعة على أن يملكهم ، ولهم ما للمسلمين ، وعليهم ما عليهم ؛ وقد كانت بلغتهم سيرته ، فأسلموا ، وتسموا بأسماء العرب ، وكذلك كانت سياسته إزاء البربر فى المغرب الذين أشعلوا الجيوش العربية زهاء ثمانين عاما ، ثم لما كانت خلافة عمر بن عبد العزيز ، ولى المغرب اسماعيل بن عبد الله بن أبى المهاجر مولى بنى مخزوم ، فسار أحسن سيرة ، ودعا البربر إلى الإسلام . وكتب إليهم عمر كتبا يدعوهم إلى ذلك ، فقرأها اسماعيل عليهم فى النواحى ، فغلب الإسلام على المغرب .

. . .

ومع سماحته ، لم يكن أشد منه حين يسمع أن مسلما واحدا مضطهدا فى بلاد الشرك ، ولم يكن ليستقر به القرار ساعة من زمن ، حتى يبادر بتخليصه ، لأنه مسئول عن المسلمين أينما وجدوا ، كتب إلى امبراطور الروم يدعوه إلى الإسلام ، وأرسل له فى هذا رسوله إليه عبد الأعلى بن أبى عمرة . وبينما كان الرسول يدور ، مر بموضع ، فسمع فيه رجلا يقرأ القرآن ، ويلحن ، فأتاه الرسول وسلم عليه ، فلم يرد عليه الرجل السلام مرتين ، ثم سلم عليه الثالثة ، فقال الرجل له . وأنى بالسلام فى هذا البلد ؟ فأعلمه أنه رسول عمر إلى صاحب الروم ، وقال له : ما شأنك ؟ فقال . إنى أسرت من موضع كذا ، فأتى بى إلى صاحب الروم ، فعرض على النصرانية . فأبيت ، فقال لى : إن لم تفعل سملت عينيك . فاخترت دينى على بصرى ، فسمل عينى ، وصيرنى إلى هذا الموضع ، يرسل إلى كل يوم بحنطة فأطحنها . وبخبزة فآكلها .

ولما سار الرسول إلى عمر بن عبد العزيز وأخبره بخبر الرجل ، دمعت عينا عمر ، فبلغ ما بين يديه ، ثم أمر فكتب إلى صاحب الروم . . أما بعد فقد بلغنى خبر فلان بن فلان ، ووصف له صنعته ، وأنا أقسم بالله ، ان لم ترسله إلى لأبعثن إليك من الجنود جنودا يكون أولها عندك . وآخرهم عندى . فلما رجع إليه الرسول ، دفع إليه كتاب عمر بن عبد العزيز ، فلما قرأه ، قال : ما كنا لنحمل الرجل الصالح على هذا ، بل نبعث إليه به ، وأقام الرسول ينتظر متى يخرج بالرجل .

وأتى الرسول ملك الروم ذات يوم ، فإذا هو قاعد قد نزل عن سريره لتصرف فيه الكتابة ، وقال للرسول : قد أتانى من بعض أطرافى أن الرجل قد مات ، فذاك فعلت ما رأيت ، ثم قال : إن الرجل الصالح إذا كان بين القوم السوء لم يترك بينهم إلا قليلا حتى يخرج من بين أظهرهم . فقال الرسول للملك : أتأذن لى أن أنصرف ـ وقد أيس الرسول من بعثه الرجل معه ـ فقال ملك الروم : ما كنا لنجيبه إلى ما أمر فى حياته ، ثم نرجع فيه بعد مماته ، وأرسل معه الرجل .

وعمد عمر بن عبد العزيز فى داخل دولته إلى الأحزاب التى ناوأت الأمويين منذ قام ملكهم ، فترضاها ، وحملها على ما يريد من إيثار السلم والعافية ، فالشيعة استجلب مودتهم بأن منع سب على بن أبى طالب على المنابر ، ومنع الدعاء للخلفاء فى الخطبة ، وبأن رد على العلويين « مذكا » التى رآها حقا قديما لهم اغتصب منهم على عهد معاوية ، والخوارج قد كبح جماحهم من طريق المجادلة بالحسنى والإقناع بالحجة والبرهان ، وأما الموالى فقد قطع أسباب شكواهم بأن أسقط الجزية ، وبأن فرض لمقاتلتهم عطاء ، وأما العصبية القبلية من يمنية ومضرية وربعية ، فقد هدأ من حدتها بأن ردع الشعراء الذين كانوا يذكون نارها ، وبأن اختار ولاته بالنظر إلى كفايتهم . . لا إلى قبائلهم .

# أخـــلاق .. ومُثـــل

كان عمر بن عبد العزيز فاضل الخلق رفيعه ، اجتمع له من مكارم الأخلاق وشريف الآداب ما لم يعرف لأحد من معاصريه ، وكان أبرز ما فيه رعايته الحق وذوده عنه ، وإقراره العدل بين رعيته ، ورفعه المظالم عن كواهلهم ، كان لا يحابي في الحق قريبا لقرابته ، ولا عظيما لعظامته . بل يحق الحق للحق ، ويسوى في عدله بين الجميع ؛ وقد خاصم مسلمة بن عبد الملك عنده أهل دير ، فقال له عمر : لاتجلس على الوسائد وخصماؤك بين يدى ، ولكن وكل بخصومتك من شئت ، وإلا فجلس القوم بين يدى ، فوكل مولى له بخصومته ، فقضى عمر عليه .

ومما يدل على تواضعه ما رواه رجاء بن حيوة ، قال سمرت ليلة عنده ، فاختل السراج فقمت لأصلحه ، فأقسم على لأقعدن . وقام هو فأصلحه ، فقلت له : تقوم أنت يا أمير المؤمنين ! قال : وما ضرنى ؟ قمت وأنا عمر أبن عبد العزيز ، ورجعت وأنا عمر بن عبد العزيز ، ولؤم الرجل أن يستخدم ضيفه . »

ونادى رجل ، فقال : « ياخليفة الله فى الأرض ، فقال له عمر : هه ، إن لما ولدت اختار لى أهلى اسما ، فسمونى عمر ، فلو ناديتنى يا عمر أجبتك ، فلما كبرت اخترت لنفسى الكنى ، فكنيت بأبى حفص ، فلو

ناديتنى يا أبا حفص أجبتك ، فلما وليتمونى أموركم ، سميتمونى أمير المؤمنين ، فلو ناديتنى يا أمير المؤمنين أجبتك ، وأما خليفة الله فى الأرض . فلست كذلك . ولكن خلفاء الله فى الأرض داود النبى عليه السلام ، وشبهه ، قال الله تعالى : «ياداود إنا جعلناك خليفة فى الأرض » .

وكانت رعاية ابن عبد العزيز لرعيته تتجاوز الأصول إلى فروع الأمور وأحوال الناس . ومن هذا ما كتبه إلى عامله بمصر : « ألا لا يغرسن على شاطىء النيل شجرة ، فإن ذلك يضر بالنواتى فى جر اللبان (١) » . وإن هذه الرعاية تجاوزت الإنسان إلى الحيوان ، فقد كان عمر بن عبد العزيز ينهى عن ركض الفرس فى غير حق .

وأعلن عمر بن عبد العزيز الجوائز لمن يدله على الخير ، وكتب فى هذا إلى أهل المواسم ، أيما رجل قدم علينا فى رد مظلمة ، أو أمر يصلح الله به خاصا أو عاما من أمر الدين ، فله ما بين مائة دينار إلى ثلاثمائة دينار ، بقدر ما يرى من الحسبة وبعد السفر ، لعل الله يحيى به حقا ، أو يميت به باطلا ، أو يفتح به من ورائه خيرا ، ولولا أنى أطيل عليكم ، وأطنب ، فيشغلكم ذلك من مناسككم لسميت أمورا من الحق أظهرها الله . وأمورا من الباطل أماتها الله ، وكان الله هو المتوحد لكم فى ذلك لا تجدون غيره ، فإنه لو وكلنى إلى نفسى لكنت كغيرى .

---

(١) تطلق العامة اللبان على الحبل الذى تشد به السفينة عند سكون الريح ، وعربيه « القلس » بالفتح .

وحكم رجل فى مسجد رسول الله عليه السلام ، وأبو بكر بن محمد فى صلاته ـ فقطع عليهم الصلاة وشهر السيف ، فكتب أبو بكر إلى عمر ، وأتى بكتابه عمر ، فقرىء على الرجل ، فشتم عمر والكتاب ومن جاء به ، فهم أبو بكر بضربه عنقه ، ثم راجع عمر . وأخبره أنه شتمه ، وأنه هم بقتله ، فكتب إليه عمر : لو قتلته لقتلتك به ، فإنه لا يقتل أحد بشتم أحد ، إلا أن يشتم النبى صلى الله عليه وسلم ، فإذا أتاك كتابى فاحبس عن المسلمين شره ، وادعه إلى التوبة فى كل هلال ، فإذا تاب فخل سبيله ، ولم يزل الرجل فى الحبس حتى مات عمر ، فضرب يزيد بن عبد الملك عنقه .

واشتهى عمر بن عبد العزيز الحج ، فسأل مولاه مزاحما ، هل عزل من المال شىء ؟ فقال مزاحم : بضعة عشر دينارا ، فقال عمر : وما تقع منى ؟ ثم مكث مزاحم قليلا ، وقال : يا أمير المؤمنين ، تجهز ، فقد جاءنا مال سبعة عشر ألف دينار من بعض مال بنى مروان . قال عمر : اجعلها فى بيت المال ، فإن تكن حلالا ، فقد أخذنا منها ما يكفينا ، وإن تكن حراما ، فكفانا ما أصابنا منها ! ولما رأى عمر ثقل ذلك على مزاحم قال له : ويحك يا مزاحم ، لا يكثرن عليك شىء صنعته لله فإن لى نفسا تواقة ، لم تتق إلى منزلة فنالتها ، إلا تاقت إلى ما هى أرفع منها ، حتى بلغت اليوم المنزلة التى ليس بعدها منزلة . وإنها اليوم قد تاقت إلى الجنة .

ولقد أغنى عمر بن عبد العزيز الناس جميعا إلا نفسه وأهله ، فلم

يعرف التاريخ ولى قوم أعف عن مالهم منه ، ولم ير الناس أهل بيت أصبر على الطعام الخشن والثوب المرقوع والبيت المتهدم منه ومن أهل بيته ، وقد كان قبل أن يلى الخلافة مترفا ناعما فى ملبسه ومأكله ومتاعه ، فلما أن وليها جعل شعاره الزهد فى الدنيا والإعراض عن متعها الزائلة ، وقد قال مالك بن دينار : الناس يقولون : « مالك بن دينار زاهد » إنما الزاهد عمر بن عبدالعزيز ، أتته الدنيا فتركها » .

وقال له بعض إخوته : يا أمير المؤمنين ، لو ركبت فتروحت ! . فقال عمر : كيف لى بعمل ذلك اليوم ؟ قال : يكون فى اليوم الذى يليه . فقال عمر : لقد ضحى عمل يوم واحد ، فكيف إذا اجتمع على عمل يومين ؟ .

وكان يقول لأصحابه : « إياكم والمزاح ، فإنه يورث الضغينة ، ويذهب الغل » .

وقال ابن عياش : كان لعمر مرقاتان يرقى من صحن داره إلى مقر بيته عليهما ، فانقلعت إحدى المرقاتين ، فأتاها رجل من أهل بيته ، فأصلحها ، كراهية أن يشق على عمر ، فلما جاء عمر ، ونظر إليها ، قال . من صنع هذا ؟ قالوا : فلان . قال : على به . فلما جاء الرجل ، قال له عمر : ويحك يا فلان ، أنفست على عمر أن يخرج من الدنيا ، ولم يضع لبنة على لبنة ؟ والله لولا يكون فساد بعد إصلاح لغيرتها إلى ما كانت عليه .

وروى مزاحم أنه قال لعمر بن عبد العزيز . إنى أرى فى أهلك

خلالا ، فقال يا مزاحم ، أما يكفيهم ، أعطيهم ما يصيبون من المقاسم مع المسلمين من فيئهم مع مال عمر ؛ فقلت له : وأين يقع ذلك منهم مع ما يمونون ومع ضياقتهم ؛ وكسوتهم نساءهم ، وأين يقع ذلك ، قد والله خشيت أن تصيبهم مخمصة . فقال عمر « إن لي نفسا توافة ، تفسد رأيتني وأنا بالمدينة غلام مع الغلمان ، ثم تاقت نفسي إلى العلم بالعربية والشعر ، فأصبت منه حاجتي وما كنت أريد ؛ ثم تاقت نفسي إلى السلطان فاستعملت على المدينة ، ثم تاقت نفسي وأنا في السلطان إلى اللبس والعيش والطيب فما علمت أن أحداً من أهل بيتي ولا غيرهم كان في مثل ما كنت فيه ، ثم تاقت نفسي إلى الآخرة والعمل بالعدل ، فأنا أرجو ما تاقت نفسي إليه من أمر آخرتي ، فلست بالذي أهلك آخرتي بدنياهم . »

« أما حب عمر للخير ، ورجوعه إلى الحق ، فقد حدث عامله بالمدينة قال : ما قدم علينا بريد لعمر بن عبدالعزيز إلا بإحياء سنة أو قسم مال أو أمر فيه خير ؛ وقال ابن عبدالعزيز : « ما من طينة أهون عليّ فتا ، ولا من كتاب أيسر على ردا ، من كتاب قضيت فيه ، ثم أبصرت أن الحق في غيره ففتها . وكان من خلق عمر في ملكه درء الحدود ما استطاع في كل شبهة ، وكثيرا ما كان يقول : « إذا أخطأ الوالي في العفو خير من أن يتعدى في العقوبة » .

وكانت لفاطمة ابنة عبد الملك بن مروان زوجة عمر بن عبد العزيز جارية ذات جمال فائق ، وكان رحمه الله معجبا بها قبل أن تفضي إليه

الخلافة ، فطلبها منها ، وحرص . فأبت دفعها اليه وغارت من ذلك ، فلم تزل الجارية فى نفس عمر ، فلما استخلف أمرت فاطمة بالجارية فأصلحت ، ثم حليت ، فكانت حديثا فى حسنها وجمالها ، وأتت فاطمة عمر وقالت : يا أمير المؤمنين ، إنك كنت معجبا بفلانة جاريتى ، وسألتنيها ، فأبيت ذلك عليك ، وإن نفسى طابت لك بها اليوم ، فدونكها . فاستبان على وجه عمر الفرح ، وقال لها . إبعثى بها إلى ، ففعلت .

ولما دخلت الجارية عليه نظر إلى شىء أعجبه ، فازداد بها عجبا ، وقال لها . إلق ثوبك . فلما همت أن تفعل ، قال عمر على رسلك ، اقعدى . . أخبرينى لمن كنت ومن أين أنت لفاطمة .

فأخبرته الجارية أمرها ، أنها من البربر ، فأخذنى موسى بن نصير حين سار إلى إفريقية ، وبعث بى إلى عبد الملك ، فوهبنى عبد الملك لفاطمة ، فأرسلت بى إليك . فقال لها عمر : كدنا والله أن نفتضح .. وجهزها وأرسل بها إلى أهلها .

هذه قدرة عمر بن عبد العزيز فى قوته على نفسه وعلى شهواتها .

. . .

ودس عليه « أبو النضر » بعض أهله . ليقول له : إن فيك كبرا ، وأنك تتكبر إشارة إلى حجبه أهله عن مجلسه ، فقال له عمر : لبئس ما ظننته ، إن كنت ترانى أتوقى الدينار والدرهم مراقبة لله وانطلق إلى

أعظم الذنوب فأرتكبه . الكبرياء ، إنما هي رداء الرحمن ، فأنازعه فيها ، ولكني كنت غلاما بين ظهري قومي يدخلون علي بغير إذن ، ويتواطأون فرشي ، ويتناولون مني ما يتناول القوم من أخيهم الذي لا سلطان له عليهم ؛ فلما أن وليت خيرت نفسي في أن أمكنهم مني ، حالي التي كنت عليها ، وأعاقبهم فيما خالف الحق ، أو أتمنع عنهم في بابي ورحبي ليكفوا عني أنفسهم ، وعن الذي أحذر عليهم ، لو كنت جرأتهم على نفسي من العقوبة والأدب ، فهو الذي دعاني إلى هذا .

وبلغ عمر بن عبد العزيز أن ابنا له اشترى فصا بألف درهم فتختم به ؛ فكتب اليه عمر . عزيمة مني عليك ، لما بعت الفص الذي اشتريته بألف درهم ، وتصدقت بثمنه ، واشتريت فصا بدرهم ، نقشته عليه ، رحم الله امرءاً عرف قدره » .

وأطرى رجل عمر بن عبد العزيز في وجهه ، فقال : يا هذا لو عرفت من نفسي ما عرفت منها ما نظرت في وجهي . .